واقع الرأسمال الاجتماعي الافتراضي لدى الشباب المستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي: رؤية قيمية

أ.يحي تقي الدين

أستاذ في علوم الإعلام والاتصال(جامعة د.مولاي الطاهر سعيدة)

ملخص:

نعالج في هذه الدراسة إشكالية المجتمعات الافتراضية، والأنماط العلائقية الجديدة التي فرضتها على الفاعلين، وربما زادت حدة تناول موضوع المجتمعات الافتراضية في الآونة الأخيرة مع الاستخدام الواسع لشبكات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي ولد منظومة مفاهيمية جديدة جاءت نتيجة اجتهادات الباحثين وفق سياقات متعددة ومتنوعة ولعل أهمها مفهوم الرأسمال الاجتماعي الافتراضي.

إن مصطلح الرأسمال الاجتماعي إنما هو محصلة انتاجات مفاهيمية بين مختلف الباحثين لعل أهمهم بيار بورديو، ولكننا حاولنا في هذه الدراسة تطويع خصائص هذا الرأسمال مع خصائص المجتمعات الافتراضية ليتولد لنا هذا المفهوم المركب، و لم نقف عند هذا الحد فحسب بل حاولنا أن ننظر إليه من زاوية قيمية، وإنما قصدنا الجانب القيمي بشقيه المضاميني والاستخداماتي مع ربط ذلك بأهم فئة تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي وهم الشباب.

الكلمات المفتاحية: الرأسمال الاجتماعي، التفاعل، المجتمعات الافتراضية، شبكات التواصل الاجتماعي

Abstract:

We address in this study the problem of virtual communities, patterns of new relational imposed on the actors, and perhaps intensified the theme virtual communities recently with the widespread use of social networks, which was born a new conceptual system came as a result of the jurisprudence of

researchers according to multiple and varied contexts, and perhaps the most important concept the default social capital.

The social capital of the term but rather is the result of productions conceptual between the various researchers Perhaps most notably Pierre Bourdieu, but we have tried in this study to adapt the characteristics of this capital with virtual communities properties generated for us this concept boat, and did not stand at only this point, but we have tried to look at it from the angle ad valorem, but our intention, both moral side Alamadamina Alastkhaddamata and connect it with the most important category of use of social networking and are young.

key words: Social capital, interaction, virtual communities, social networks

1.ثنائية : التفاعل والاتصال:

أفضى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال في نهاية القرن الآفل ومطلع القرن الحالي إلى إنتاج وسائل حديثة في التواصل بين الناس عملت على إحداث تغييرات غير مسبوقة في علاقاتهم وسبل تواصلهم، فالتواصل الذي أدخلته التكنولوجيا هو اتصال غير مسبوق في تاريخ المجتمعات. إن خروج الإنسان عبر التاريخ البشري لم يكن كما يرى أحد الباحثين إلا خروجا من مكان للآخر مشابه، من جغرافيا بشرية إلى جغرافيا بشرية أخرى، من ثقافة إنسانية إلى ثقافة إنسانية أخرى، أما المجتمع الجديد الذي أوجده هذا الاتصال فهو خروج إلى مجتمع إنساني آلي خاصة مع شبكة الانترنت[1].

ورغم أن هذا النوع من الاتصال يقع في الإطار العام للتواصل الإنساني – من حيث كونه عملية اجتماعية لها مقوماتها وعناصرها وأهدافها- غير أنه يتم من خلال وسائط آلية – إلكترونية، وهكذا تتبادل الأطراف المتصلة في هذا النوع من الاتصال الأدوار في بث الرسائل الاتصالية المتنوعة واستقبالها من خلال النظم الرقمية ووسائلها لتحقيق غايات معينة وإشباع حاجات عديدة[2].

وبفضل هذا النوع من التواصل تدعم مبدأ التفاعلية بفضل التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال، حيث أصبحت إمكانية رجع الصدى فورية وسهلة الإنجاز، وهو ما جعل العلاقة الدائرية أكثر عمقا وأكبر تعقيدا، فهي تختلف عن النموذج الدائري الذي اقترحه (لاسويل) لأن مهمة المستقبل أصبحت لا تقتصر على إعطاء رأيه حول ما قرأ أو شاهد أو سمع فحسب، وغنما أصبح بإمكانه أيضا تقديم وتعديل وحذف وإضافة تفاصيل في المحتوى الإعلامي المنشور على مختلف الشبكات، الأمر الذي يجرنا للحديث عن ما يمكن أن نطلق عليه اسم " المستقبل النشط والفاعل المتفاعل " كمفهوم جديد للمتلقي كرسته فلسفة التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال[3].

ومن هنا، فقد ركزت العديد من البحوث والنظريات في العلوم الإنسانية والاجتماعية على التفاعل كشرط أساسي لاستكمال العملية الاتصالية، حيث ارتبط مفهوم الاتصال بمفهوم التفاعل عند عدد كبير من الباحثين على اختلاف اتجاهاتهم واهتماماتهم العلمية. فتشومسكي مثلا، يعتبر أن الاتصال هو عملية تفاعل بين طرفين لأنه لا يقف عند حد تبادل المعلومات فحتى تنجح العملية لا بد من أن يكون هنالك اتصال حقيقي بين المرسل والمستقبل، كما يجب أن تتوفر فرصة رجع الصدى وتبادل الآراء، يقول تشومسكي في هذا الإطار:" إن الرسالة التي يمكن لناشرها أن يبعثها عن طريق الكلام شفاهيا أو سمعيا أو مرئيا، لا بد أن تتعقبها رسالة رجع الصدى حتى تتم عملية الاتصال بشكل كامل"[4].

هذه المكانة المهمة التي يوليها (تشومسكي) لعنصر التفاعل في إنجاح العملية الاتصالية، نجدها أيضا عند علماء الاجتماع في أبحاث (تشارلز كولي وجون ديوي مثلا) اللذان يعتبران الاتصال :" عملية اجتماعية تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس، وهي عملية تفاعل بين طرفين . . . وضرورة من ضروريات استمرارية الحياة الاجتماعية لتحقيق التكامل الاجتماعي"[5].

وقد شكل التفاعل مبدأ قاعديا بنيت عليه أسس نظريات ومقاربات كثيرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فقد ركزت (جورج هربرت ميد) في التفاعلية الرمزية على التفاعل الاجتماعي القائم على الرموز من خلال دراسة العملية الاتصالية وإلى جانب أعمال (ميد)، نجد المقاربة النسقية التي ظهرت منذ العشرينيات فقد ركزت على البعد التفاعلي للاتصال، حيث وضع (ابراهام مولز) نظريته " ايكولوجيا الاتصال" تحت مظلة (شانون)

وتحليلات (نوربرت وينر)، وتعني إيكولوجيا الاتصال:" علم التفاعلات بين كائنات مختلفة داخل حقل ما، وهي عملية تتضمن فرعين أساسيين: يشكل الفرد وحدة الفرع الاول الأساسية ويهتم بصيغ التفاعل الاتصالي للفرد ضمن الفضاء الزمني، ويحيل الفرع الثاني إلى تنظيم طرائق التعاقد بين الأفراد وتفعيل الحيز العقلاني والتحكم الذهني الكوني الذي تمارسه قنوات كثيرة من خلال قوة وحضور وكثافة رسائلها وتخزين الرسائل في فضاءات الذاكرة كأرشيف المكتبات"[6].

وقد تبنت مدرسة (بالو ألتو) في السبعينيات النموذج الدائري الارتدادي الذي اقترحه (وينرز)، وحاول الباحثون المنتمون لهذه المدرسة تقديم نموذج مستوحى من المقاربة النسقية، فهذه المدرسة لا تعتبر فقط أن المتلقي يماثل في الأهمية دور المرسل وإنما تعتبر العملية الاتصالية " سيرورات علائقية وتفاعلية" تكون فيها المكونات أو العناصر أقل أهمية من العلاقات التي تنشا بينها، ويصبح بذلك كل سلوك بشري يمتلك قيمة اتصالية[7].

2.نحو فهم للمجتمعات الافتراضية:

هذه التكنولوجيا الجديدة وبمختلف أشكالها المادية الوسائلية التي طرحت نفسها مع خاصية التفاعلية المميزة لها في الجانب التواصلي، أظهرت فاعلين جدد في الوسط المعرفي أصبح لديهم مجتمعه الخاص بهم، والذي تحدده مجموعة من الخصائص والمميزات والافتراضات القيمية والمجتمعية هو المجتمع الافتراضي.

ولم يعد مصطلح المجتمع الافتراضي من المصطلحات التي تلفت الانتباه، فقد أصبح استخدامه شائعا بين مختلف الفاعلين، وبرز هذا المصطلح من خلال ثورة التواصل الاجتماعي الحديثة التي أحدثتها الانترنت، وشكل هذا النوع من المجتمعات عالما رحبا ومفتوحا عمل على إنهاء العزلة الجغرافية التي كانت تقف عائقا أمام التواصل بين البشر، وأوجد بذلك ثقافة جديدة لها قيمها الخاصة وسلوكياتها ومفاهيمها التي بدأت تفرض نفسها على المجتمع الواقعي[8].

ويعد (هاورد رينجولد) من أوائل المهتمين بدراسة هذا النوع من المجتمعات، حيث قام بدراسات مستفيضة لتحليل خصائصها ومقوماتها وطرق تشكلها والاشباعات المحققة

للمشتركين فيها، وهذه المجتمعات كما يرى (رينجولد) في كتابه الموسوم " الجماعات الافتراضية"، هي تجمعات اجتماعية تشكلت من خلال الانترنت من أفراد يقطنون في اماكن متفرقة في أنحاء العالم، يتواصلون مع بعضهم عبر شاشات الكومبيوتر والبريد الالكتروني ويتبادلون المعارف والهوايات، وتجمع بينهم اهتمامات مشتركة، ويحدث بينهم ما يحدث في العالم الواقعي أو الفعلي من تفاعلات ولكنها ليست وجها لوجه، وهي من هذا المنطلق تجمعات مفتوحة لكل من يريد المشاركة في نشاطاتها[9].

ويتضح لنا هذا المفهوم بشكل أوضح من خلال التعريفات الآتية التي يقدمها بعض الباحثين لهذا النوع من المجتمعات:

- تجمعات اجتماعية تجمع بين أصحاب الاهتمامات المشتركة وأهل التخصص الواحد وأصحاب الرأي وجماعات السمر والدردشة وتبادل الآراء والنوادر، ويمكن لأي عضو في هذه الجماعة أن يبث حديثه لجميع أعضائها دون استثناء أو يختص فريقا منهم، ويمكن للعضو أن يقدم نفسه تحت أسماء مستعارة، ويمكن أن يتنكر العضو في شخصيات متعددة[10].
- تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في مناقشات عبر فترة كافية من الزمن، يجمع بينهم شعور إنساني كاف بحيث يشكلون مواقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الالكتروني[11].
- تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت، تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة، يتواصلون فيما بينهم ويشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي[12].

والمتأمل للتعريفات السابقة يرى بجلاء خصائص المجتمع الافتراضي والتي تنعكس على كل الأشكال المختلفة له والفضاءات الرمزية التي تجسده.

ويمر بناء المجتمع الافتراضي بمراحل عديدة أهمها[13]

1. تحديد الأفراد المشاركين في هذا المجتمع: أي تحديد جنسهم وفئاتهم وأعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية وخلفياتهم العلمية وهواياتهم وعقيدتهم. . .
2. تحديد الأهداف: أي تحديد الغايات التي يسعى هؤلاء الأفراد لتحقيقها سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو ترفيهية . ..
3. المشاركة النشطة للأفراد في نشاطات هذا المجتمع: فالجميع يعمل والجميع يساهم في النشاطات التي يجتمعون حولها في المجتمع الافتراضي.
4. التعبئة: ينغمس المشتركون في المجتمع الافتراضي بتحقيق أهدافهم ويشاركون سوية في نشاطاته، ويعملون على استقطاب فاعلين جدد لمجتمعهم . ..
5. زيادة عدد النشاطات التي يمارسها أفراد المجتمع وذلك من خلال عرض صور وتفاعلات ورسوم وتعليقات...
6. التمثيل التنظيمي: أي أن يصبح لأفراد هذا المجتمع تنظيم محدد ومنظم وحضور قوي في المناسبات المختلفة.

ويرتبط المجال العام الافتراضي بالانترنت ارتباطا وثيقا، إذ يعد هذا المجال فرصة أمام الأفراد ليتبادلوا الأفكار والمعلومات والهوايات والاهتمامات المشتركة، وليكون مجالا للتعبير الحر عن آرائهم التي لا يستطيعون البوح بها أو التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية. ففي هذا المجال يشكل المشاركون فيه ثقافة من نوع خاص تسمى"ثقافة المجال الافتراضي"[14] ، وهي ثقافة لها قيمها وعاداتها ولغتها وسلوكها الذي يميزها عن الثقافة الواقعية، وهو بذلك يتميز بمجموعة من المقومات يمكن أن نوجزها على النحو التالي[15]:

1. المعرفة التي يمتلكها الأفراد المشتركون في الفضاء الرمزي: لا تقتصر المعرفة في هذا الفضاء على الجانب العلمي والثقافي فحسب، بل على معرفة الطرق التي تمكن الأفراد المشاركين من الدخول إلى هذا العالم والنفاذ إليه واكتساب آليات التعامل معه أيضا.
2. الشعور بالتميز والوحدة: يشعر الأفراد المشتركون في المجتمع الافتراضي بأنهم يشكلون جماعة خاصة مميزة، لها اهتماماتها واهدافها المشتركة التي يعملون من أجل تحقيقها.
3. المشاركة القائمة على تجانس الاهتمامات: يجمع الأفراد في المجال الافتراضي اهتمامات ودوافع وهوايات متشابهة إلى حد كبير يصل حد التجانس، فقوة المعرفة التي بحوزة

الأفراد المشتركين في المجتمع الافتراضي وإحساسهم ببعضهم كجماعة مميزة تشترك باهتمامات متشابهة هما اللذان يدفعان بهم إلى المشاركة في النشاطات وإلى تحقيق الأهداف التي اجتمعوا من أجلها في هذا المجال.

ويؤكد (وارن مايس) أيضا، على هذه المقومات وبشكل خاص على الشعور الذي يشعر به الأفراد المشاركون في هذا الفضاء، حيث يسود بين هؤلاء الأفراد شعور عام بأنهم يشكلون جماعة خاصة تغلب مصالحها الجمعية على مصالحها الذاتية، ويرى(مايس) في هذا المجال فضاء طبيعيا يحدث داخله تفاعل عام تترك فيه الناس مصالحها الخاصة وتنشغل بالقضايا ذات الطابع الاجتماعي العام[16].

وتظهر المشاركة في المجال العام الافتراضي في ثلاثة مجالات هي[18]:

1. المعرفة: فالمجال العام الافتراضي يقوم بالدرجة الأولى على المعرفة التي يملكها الأفراد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية و . . . من جهة، وعلى الإلمام والتمكن من سبل النفاذ إلى المجال الافتراضي ليتمكن من المشاركة في نشاطات الجماعة المكونة لهذا المجال من جهة أخرى، وقد تكون هذه المشاركة دائمة ومستمرة في المجالات السابقة أو متقطعة لاعتبارات عديدة، يتعلق بعضها بالفرد ويتعلق بعضها الآخر بطبيعة الموضوعات التي يشارك فيها هذا الفرد.
2. الفعل: يشكل الجانب الثاني المكمل للمعرفة، والمقصود به هنا هو النشاط الذي يقوم به الشخص المتفاعل مع الجماعة المكونة للمجال العام الافتراضي والذي يمتلك المعرفة ولديه القدرة على الدخول إلى مواقع التفاعلات من أجل الإسهام في النشاطات المتاحة في هذا المجال.
3. التفاعل: هو تبادل المعلومات والمعارف بين المشتركين في المجال العام الافتراضي، وقد يكون هذا التفاعل بين عدد منهم، وقد يمتد إلى جماعات محددة مع الأخذ بعين الاعتبار أن تفاعلات المجال العام الافتراضي تقوم بالأساس على مشاركة الاهتمامات المتجانسة بين الأعضاء.

وقد عقد الباحثان في الفضاءات التقليدية والفضاءات الافتراضية (جراهام ومارفن) المقارنات التالية لتبيين خصائص كل شكل من أشكال هذين الفضاءين(19):

1. الفضاء التقليدي فضاء حقيقي وأما الفضاء الافتراضي فهو فضاء غير حقيقي، بل تخيلي.
2. يتميز الفضاء التقليدي بوجود الأماكن والمدن والمؤسسات الطبيعية التي يوجد فيها الأفراد، في حين ينتشر الفضاء الافتراضي في الشبكات الالكترونية التي يتم إنشاؤها باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.
3. الفضاء التقليدي فضاء ملموس، وأما الفضاء الافتراضي فهو غير محسوس.
4. يشكل الفضاء التقليدي جزءا من الواقع التقليدي، وأما الفضاء الافتراضي فلا يوجد مع الواقع التقليدي بل يوجد موازيا له.
5. يتصف الفضاء التقليدي بأنه فضاء اجتماعي في حين يتصف الفضاء الافتراضي بأنه فضاء غير اجتماعي.

ورغم هذه الفروق التي توحي بوجود اختلافات بين هذين الفضائين إلا أن الحقيقة هي ان هذه الفروقات لا تشكل قطيعة معرفية بينهما، وفي هذا الصدد يرى الباحث (وليم باري) ومجموعة من الباحثين الذين يشاركونه رؤيته، بان الطبيعة غير المادية للفضاءات الرمزية الافتراضية لا تنفي عنها الصبغة الاجتماعية بصفة كلية، فقد تتطور العلاقات بين الأفراد والمؤسسات والجماعات التي يتم انشاؤها افتراضيا للتحول في الواقع الفعلي، والفضاء الافتراضي لا يفرض نفسه مقابلا للفضاء التقليدي او بديلا عنه، بل هو فضاء منافس له، فهناك قدر كبير من العلاقات التفاعلية المستمرة بين الواقعي والافتراضي، وتتضح مثل هذه العلاقة التفاعلية في نقل الخبرة او العلاقة من المستوى الافتراضي إلى المستوى الواقعي، والتأثر بما يحدث في داخل الواقع ونقله إلى المستوى الافتراضي، وفي التفاعل التبادلي أيضا بين الواقعي والافتراضي[19].

3.الرأسمال الاجتماعي الافتراضي:

من المفاهيم الأخرى الجديدة التي أوجدتها الانترنت مفهوم الرأسمال الاجتماعي الافتراضي، إذ يعد هذا المفهوم من أكثر المفاهيم التي جذبت اهتمام العاملين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، على الرغم من أن الرأسمال الاجتماعي كمفهوم اجتماعي موجود في التراث

السوسيولوجي منذ القرن 19م[20] ، حيث تم استخدامه في تلك الفترة ليؤكد على المردود الايجابي والفائدة الكبيرة التي تعود على الأفراد وعلى المجتمع المحلي جراء انخراطهم في الجماعات الاجتماعية ومشاركتهم في نشاطاتها، ونستطيع أن نلمس مثل هذا التأكيد عند (ايميل دور كايم)، حيث يرى أن الحياة في إطار الجماعة تعد حصنا منيعا للفرد في مواجهة الاغتراب أو "اللامعيارية" أو انعدام القيم والضياع، كما يمكن تلمسه أيضا في التمييز الذي عقده (كارل ماركس) بين مفهوم "الطبقة في ذاتها"و"الطبقة لذاتها" فالأولى عنده هي طبقة مفتتة لا رابط بينها والثانية طبقة مؤثرة وحاشدة لأعضائها[21].

وقد توسعت مجالات استخدام هذا المفهوم بدخول الانترنت؛ فلم يعد مقتصرا على مشاركات الأفراد في المجتمعات الحقيقية أو الواقعية بل تعداها إلى مشاركتهم في المجتمعات الافتراضية – التخيلية، إذ أصبح الاستخدام الجديد يتمحور حول قدرة الأفراد على العمل معا داخل شبكات العلاقات المشتركة.

ولقد أثار رأس المال الاجتماعي بمفهومه الافتراضي تساؤلات عديدة لدى الباحثين حول قدرة الانترنت في تشكيل مثل هذا النوع من رأس المال الاجتماعي، ولعل أكثر الأسئلة جدية في هذا الخصوص تلك التي أثارها كل من (آجرين) و(بلانشر وهوزان) وهي[22]:

- هل تسهم المشاركة في المجتمعات الافتراضية التي أوجدها الانترنت في تكوين رأس مال اجتماعي لأعضائها؟
- ما خصائص هذا النوع الجديد من رأس المال الاجتماعي؟
- كيف يمكن قياس رأس المال الاجتماعي الافتراضي مقارنة بقياس رأس المال الاجتماعي الحقيقي؟

وبنظرة تاريخية للمفهوم، فإنه اشتق من مفهوم رأس المال، وكانت الوجهة الأولى لهذا المفهوم وجهة اقتصادية هي وجهة نظر (كارل ماركس)، غير أن المفهوم اتسع ليشمل أشكالا أخرى من الرأسمال " اجتماعي، ثقافي. .. " ورغم أن أول استخدام لمفهوم الرأسمال الاجتماعي يعود إلى (هانيفان) في عام 1916، الذي استخدمه ليشير إلى تلك القوة الاجتماعية الكامنة التي تكفي لتحسين ظروف المعيشة التي يمكن ان يستفيد منها أفراد الجماعة(23) والتي تنشأ من التعاون بين أفراد الجماعة غير أن شيوعه وانتشاره بشكل

واسع، وعدد يعزى إلى عالم الاجتماع الفرنسي (بيير بورديو) وإلى (جيمس كولمان) و(روبرت بونتام)، وسنقوم بتوضيح كل واحد منهم لهذا المفهوم:

1. رأس المال الاجتماعي عند (بورديو):

يعد (بورديو) من أوائل علماء الاجتماع الذين قاموا في بداية الثمانينات بجهود كبيرة في تحليل هذا المفهوم الذي يشكل حجر الزاوية في مشروعه النظري المسمى "نظرية الممارسة"*، لقد أعاد (بورديو) اكتشاف مفهوم الرأسمال الاجتماعي، وساهم في تأسيس نظرية سوسيولوجية حوله، وكشف عن أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية في انتفاع الفرد والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها من الموارد الاجتماعية المادية والرمزية(24). وفي سياق توصيفه للأنواع المختلفة من رأس المال يذكر(بورديو) ثلاثة أنواع خلاف رأس المال الاقتصادي، هي:

- رأس المال الثقافي: ويتكون هذا النوع من رأس المال مما يمنحه التعليم والتدريب من مهارات ومعرفة وامتيازات وتوقعات ومكانة اجتماعية، إذ لم ينظر (بورديو) للمدارس والجامعات باعتبارها مواقع لتوزيع رأس المال الثقافي، بل هي مواقع لمنح شرعية لرأس المال الثقافي للطبقتين الوسطى والعليا، وانبثق هذا النوع من الرأسمال عنده بصورة أولية عندما كان يبحث في تفسيرات الانجاز المدرسي غير المتكافئ للأطفال الذين ينحدرون من أسر متفاوتة في درجات تعليمها رغم أنها متشابهة في أصولها الاجتماعية، وقد أوصلته دراساته في هذا الموضوع إلى أن النجاح أو الفشل المدرسي إنما يعزى إلى مقدار كمية رأس المال الثقافي الموروث من الوسط العائلي وليس عن طريق الانجاز الفردي أو الموهبة، ويوجد رأس المال الثقافي في صور متعددة، فقد يكون مجموعة من القدرات والخصائص الدائمة المتمثلة داخل الفرد كالمعرفة والمهارات المختلفة، وقد يتمثل في السلع الثقافية كالكتب واللوحات الفنية ويتمثل ذلك في الألقاب والشهادات العلمية(25).

* - سناتي على شرح النظرية في المدخل النظري للدراسة.

- رأس المال الرمزي: هو مجموع الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة، كالرف والهيبة والسمعة الطيبة والسيرة الحسنة التي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع، ويعد الرأس المل الرمزي مصدرا للسلطة، حيث يمنح صاحبه مكانة اجتماعية في الجماعة التي ينتمي إليها[26].
- رأس المال الاجتماعي: هو مجموع الموارد الواقعية أو المحتملة التي يتم الحصول عليها من خلال شبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل وذلك في إطار الانضواء تحت لواء جماعة معينة. فالانتماء لجماعة ما يمنح كل عضو من أعضائها سندا من الثقة والأمان الجماعي[27].

إن نظرية (بورديو) في رأس المال الاجتماعي تتعامل في الواقع معه باعتباره رصيدا اجتماعيا من العلاقات والرموز يتفاعل مع الرصيد الذي يملكه الفرد من الرأسمال المادي؛ فالفرد عندما ينشئ شبكات اجتماعية أو ينضم إلى أحزاب سياسية أو يستخدم ما لديه من رموز المكانة في ممارسات اجتماعية فإنما يكون لنفسه رصيدا اجتماعيا وثقافيا يزيد من مصالحه ومن رصيده من القوة والهيبة[28].

2. رأس المال الاجتماعي عند (كولمان):

تطور مفهوم الرأس المال الاجتماعي بعد (بورديو) بشكل واضح في أعمال عالم اجتماع آخر هو (كولمان)، حيث يرى أن الرأسمال الاجتماعي لا يوجد في الأفراد ولا في الواقع المادي وإنما يوجد في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ويتشكل من الالتزامات والتوقعات ومن إمكانية الحصول على المعلومات والمنافع والفوائد[29].

ويستخدم (كولمان) مفهوم الرأس مال الاجتماعي ليشير به إلى مجال قلما تنبه إليه الآخرون، العلاقات الموجودة بين الأفراد في إطار الأسرة والمجتمع المحلي، إذ يعتقد أن العلاقات داخل الأسرة تمارس تأثيرا قويا على مستويات التحصيل الدراسي عند أبنائها. وفي هذا المجال يرى أن رأس المال الاجتماعي الخاص بنمو شخصية شاب من الشباب داخل أسرة ما على سبيل المثال، يتمثل في العلاقات الاجتماعية الحقيقية بين الوالدين من جهة، وفي علاقات الوالدين بمؤسسات المجتمع المحلي من جهة ثانية[30].

ويرى (كولمان) أن هناك نوعين من شبكات العلاقات الاجتماعية[31]:

- الشبكات "المغلقة" أو المتينة داخل المجتمعات المحلية وداخل الجماعات الصغيرة: وينجم عن هذا النوع من الشبكات أداء وظيفيا ناجحا للأفراد الذين ينضوون داخلها.
- الشبكات "المفتوحة" أو الضعيفة : وهي تلك الشبكات الناجمة عن غياب التفاعل بين الوالدين وأطفالهم من جهة، وبين الوالدين وبقية الكبار في المجتمع المحلي من جهة أخرى، لذا تقلل الشبكات الرخوة أو الضعيفة برأيه، من احتمالات تكوين الرأس مال الاجتماعي بين الأطفال، وتزيد من احتمالات السلوك المنحرف.

3. رأس المال الاجتماعي عند (بوتنام):

لا يكتمل الحديث عن رأس المال الاجتماعي دون استعراض لأفكار الباحث (بوتنام)، فلقد أحدثت رؤية (بوتنام) للرأس المال الاجتماعي تحولا كبيرا في فهم هذا النوع من الرأس المال، بحيث لم يعد التركيز منصبا على وجود علاقات السلطة واللامساواة الناتجة عن تباين الأفراد فيما يملكونه من راس المال بأنواعه المختلفة، وإنما أضحى التركيز منصبا على القيم الاجتماعية الأساسية والمهمة في حياة الناس وفي مقدمتها: الثقة بالآخرين، والتسامح، والتبادل القائم على الانتماء المشترك[32].

ففي كتابه المنشور عام 1993 "جعل الديموقراطية تنجح"، يحدد (بوتنام) بشكل دقيق مفهوم رأس المال الاجتماعي، فهو برأيه شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تتضمن قيمة كبيرة للأفراد الذي تتشكل منهم هذه الشبكة، وهذه العلاقات تشبه راس المال البشري والطبيعي في تأثيرها على إنتاجية الأفراد والجماعات، فرأس المال الطبيعي يوجد في الأدوات الطبيعية، ورأس المال البشري هو ما يملكه الأفراد من قدرات، وأما رأس المال الاجتماعي فيتجسد في العلاقات بين الأفراد وفي معايير التبادل الاجتماعي والثقة بين أفراد المجتمع[33].

وفي سياق تحليله لرأس المال الاجتماعي، نجده يفرق بينشكلين من أشكاله، يترتب عن كل شكل منهما صورة ما من المنافع التي يمكن أن يحصل عليها الفرد. وهذان الشكلان هما[34]:

- **رأس المال الاجتماعي الترابطي:** وهو رأس مال موجه إلى داخل الجماعة من أجل الربط بين أفرادها الذين هم في الأصل متشابهون ومتجانسون كما في التنظيمات الدينية والاثنية، ويرى (بوتنام) أن وظيفة الرأس مال الاجتماعي الترابطي هي العمل على تأكيد هوية هؤلاء الأفراد وتدعيم التجانس والتضامن والترابط بينهم.
- **رأس المال الاجتماعي التجسيري:** يتصف هذا النوع من راس المال بأنه موجه إلى خارج الجماعة، لذا نجد العلاقات السائدة بين الأفراد أقل حميمية من تلك السائدة بين أعضاء جماعة رأس المال الترابطي، ويربط رأس المال التجسيري بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، ويتمثل هذا النوع من الرأس مال في علاقات العمل وعلاقات المعارف وأصدقاء الأصدقاء وفي الحركات المدنية بشكل عام.
- **رأس المال الاجتماعي الافتراضي: المجالات الرئيسية**

وبالعودة إلى الأسئلة التي تم طرحها سابقا والمتعلقة بمدى قدرة الانترنت لى تشكيل راس مال اجتماعي من خلال مشاركة الأفراد في الفضاءات الافتراضية والمعايير التي يكونها المشتركون في هذا المجال، والمجالات التي يظهر فيها هذا النوع من رأس المال يرى عدد كبير من الباحثين أن للانترنت قدرة في ذلك يمكن أن نراها في المجالات التالية:

1. الثقة: أينما وجدت الثقة وجد التبادل كما يقول (بوتنام)، فكلما كانت هناك ثقة بين الأعضاء الذين يشكلون الجماعة الافتراضية كان تبادلهم في هذا النوع من المجتمعات قويا، وكان راس مالهم الاجتماعي قويا كذلك، لذا اعتبر (بوتنام) الثقة المقوم الأساس الذي يستمد منه رأس المال الاجتماعي الافتراضي قوته، فالجماعة التي يكون أعضاؤها جديرين بالثقة هي جماعة أكثر قدرة على الانجاز كما يقول، مقارنة بالجماعات الأخرى التي تفتقد إلى هذا المقوم من مقومات راس المال الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية.

ويؤكد المفكر (فوكوياما) على أهمية الثقة أيضا باعتبارهم أهم القيم السائدة في مجتمعات الحداثة، حيث يربط بينها وبين رفاهية أي مجتمع، إذ يرى أن قدرة أي مجتمع في التنافس تتوقف على مستوى الثقة الموجودة داخله والتي تتلازم مع رصيده من راس المال الاجتماعي. ويذهب (فوكوياما) ليؤكد على الصلة العميقة بين راس المال

الاجتماعي والثقة :" إن رأس المال الاجتماعي هو قدرة تنشأ من خلال انتشار الثقة وما يرتبط بها من قيم داخل المجتمع أو في أجزاء معينة منه"[35].

ويتبين دور الثقة في المجتمعات الافتراضية في عديد من الدراسات الميدانية وبخاصة تلك التي أجراها الباحث (آجرين). فعند سؤاله المشاركين في الجماعة الافتراضية التي أجرى عليها دراسته عن مقدار الثقة في المحادثات التي يجرونها فيما بينهم تبين له أن هناك قدرا كبيرا منها بينهم، وقد تبين له أيضا أنه لا يوجد معلومات يتم تبادلها ولامعايير تلاحظ ولا سلطة متواجدة ولا توقعات والتزامات ظاهرة دون وجود ثقة بين المشاركين في هذا النوع من المجتمعات[36].

2. التبادل في مجال المعلومات: إذا كان نجاح الجماعات الاجتماعية في المجتمع الحقيقي أو الواقعي في قيامها بوظائفها وتحقيق أهدافها وممارسة نشاطاتها يحتاج إلى التبادل كما يرى الباحثين في علم الاجتماع التبادلي فإن مثل هذا النجاح في الجماعات الافتراضية يحتاج إلى التبادل أكثر مما تحتاجه المجتمعات الحقيقة، ذلك أن التبادل يعد مقوما ضروريا للتفاعل والمشاركة في نشاطات الجماعات الافتراضية، فشعور الأفراد بأنهم يشكلون مجتمعا افتراضيا، هو مجتمع " النحن" وإحساسهم بهذا المجتمع هو أحد أهم المحددات لتكوين راس المال الاجتماعي لهؤلاء الأفراد[37].

وتؤكد الدراسات في مجال رأس المال الافتراضي والمجتمعات الافتراضية أن أهم المجالات التي يفصح فيها التبادل عن نفسه في هذه المجتمعات هو مجال تبادل المعلومات. إذ يسهم التبادل المعلوماتي في طرح مجال للاستفادة في حل المعضلات ذات الأبعاد التقنية والاجتماعية. وقد توصل الباحث (آجرين) إلى هذه النتيجة من خلال دراسة قام بها على عينة من الصحفيين السويديين المبتدئين في العمل الصحفي ومجموعة أخرى لها اهتمام في مجال النشر والمعلومات. فقد تبين له بأن إمكانية تبادل المشاركين للمعلومات التي بحوزتهم والعمل على توظيفها في علاقاتهم الاجتماعية في واقعهم اليومي هو أهم الفوائد التي يجنيها هؤلاء المشاركين من مشاركتهم في الفضاء الرمزي. فهذا الفضاء هو بمثابة رأس مال اجتماعي لهم، وأما فيما يتعلق بالمعايير التي يجنيها المشاركون في هذا الفضاء الافتراضي فقد توصل (آجرين) في الدراسة نفسها إلى

مجموعة من المعايير والقواعد التي يلتزم بها الصحفيون تؤدي إلى زيادة رأس المال الاجتماعي لديهم[38].

3. تكامل الاهتمامات وتجانسها: يرتبط الإحساس بالمجتمع الافتراضي بالاهتمامات المشتركة والمتجانسة بين الأفراد، وذلك من منطلق حقيقة أن المجتمع الافتراضي يقوم بالدرجة الأولى على تجانس الاهتمامات، إذ يشكل هذا التجانس بوابة لتحقيق التكامل في السياقات الافتراضية. ويعد هذا العنصر بعدا فاعلا في تشكل شبكات العلاقات الاجتماعية المتباينة عبر الانترنت بما يسهم في تشكيل رأس المال الاجتماعي[39].
4. الدعم والمساعدة: المقصود بالدعم هنا هو تلك المؤازرة والمساعدة التي يتلقاها المشترك من خلال امتلاكه شبكة من العلاقات الاجتماعية عبر تفاعلاته في المجتمع الافتراضي، حيث يستمد رأس المال الاجتماعي الافتراضي قوته في أكثر من مكان من تلك الشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تتم في رحاب الانترنت، والتي تقوم على المصالح المتجانسة، إذ يمكن الاستفادة من هذا التجانس في تحقيق مصالح متبادلة بين الأعضاء من ذوي الاهتمامات الواحدة[40].

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بان مفهوم رأس المال الاجتماعي في العالم الافتراضي يتفق إلى حد بعيد مع المفهوم الذي يتصف به في العالم الحقيقي الذي تحدث عنه الباحثون الثلاثة. غير أن الاختلاف الجوهري بين راس المال الواقعي ورأس المال الافتراضي يكمن في تلك التفاعلات التي تتم بين الأفراد المشتركين في الواقع الافتراضي، إذ يستمد رأس المال الاجتماعي الافتراضي قوته من التفاعلات ومن تلك العلاقات التي يقيمها الفرد أو المؤسسات عبر الانترنت مع الآخرين. وهذه العلاقات التفاعلية والعلاقات الافتراضية هي التي تؤسس لرأس مال اجتماعي افتراضي.

4.معادلة الرأسمال الجديد : المادي و الرمزي و القيمي:

للقيم أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب ، فالمجتمع الإنساني مجتمع محكوم بمنظومة معايير تحدد طبيعة علاقة أفراده بعضهم ببعض في مجالات الحياة المختلفة ، كما تضع القيم مجموعة المعايير التي يتعامل بها المجتمع مع غيره من المجتمعات الإنسانية، وتشكل

هذه المعايير بمجموعها قيما محددة تسعى المجتمعات إلى تعزيزها عند أفرادها وصبغ حياتهم بصبغتها ثم نقلها إلى غيرها من المجتمعات.

وتشهد الحقيقة التاريخية أن قوة المجتمعات وضعفها لا يتحدد بالمعايير المادية وحدها ، بل إن بقاءها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمتلكه من معايير قيمية وخلقية ، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها ، والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية ورسم معالم التطور والتمدن البشري ومن هنا فإن القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه ، ذلك أن القيم تشكل محورا رئيسا من ثقافة المجتمع ، وهي الشكل الظاهر من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه ، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفراده الاجتماعية، فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها البعض بما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة ، وتظهر القيم كعلامات فارقة وشواهد واضحة ، لتمييز المجتمعات عن بعضها ، ومن هنا فإن الحفاظ على هوية المجتمع تنبع من المحافظة على معاييره القيمية المتأصلة لدى أفراده ، والتي هي جزء من عمومياته الثقافية ، فإن زعزعت هذه القيم أو اضمحلت فإن ذلك يكون مؤشرا دالا على ضعف الهوية المميزة للمجتمع وضياعها.

وفي ذات السياق، نرى اجتهادات الدكتور عبد الرحمن عزي في طرحه للرأسمال الرمزي الجديد أداة في مقاربة العمل الإعلامي بصفة عامة [41]، وقد تم استنباط هذه الأداة من نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، فتم إدراج الرأسمال القيمي بوصفه الجزء الذي دونه تصعب قراءة الرأسمال الرمزي ، و قد استعان بتقدميات بيار بورديو في ربط الرأسمال الثقافي بالرأسمال الاقتصادي و علاقة هذه الأطراف بالبعد الاجتماعي على اعتبار أن الرمزي جزء من الثقافي[42].

ويتعلق الرأسمال القيمي بقيم المجتمع و معانيه الثقافية التي تشكل هويته و انتماءه إلى بيئة حضارية ذات أبعاد إنسانية عالمية و ينتمي الرأسمال القيمي إلى مجال التدافع الذي يتضمن الحراك الاجتماعي التاريخي في العلاقة القيمية و التضاد بين الخير والشر على مستوى القول الرمزي أو الفعل السلوك الفردي والاجتماعي ونظريا، يكون الرأسمال القيمي المرجع في أداء كل من الرأسمال المادي و الرمزي فالترابط بين العناصر الثلاثة

المكونة الرأسمال، أساس البناء الحضاري و الحاصل أن هناك تمزق في العلاقة بين هذه العناصر في التجربة المعاصرة بالمنطقة العربية ، وقد ساهمت عوامل تاريخية و أخرى سياسية ودولية في هذا الشرخ مما يجعل الرأسمال الرمزي يتحرك بدون المرجعية وتحول إلى مجال له حياة خاصة به دون أن يكون له إسهام حضاري يذكر خاصة و أن مشروع بناء الإنسان و الحضارة بالمنطقة مازال في إطار المشروع ،و يعمل هذا المجال الرمزي إلى الدفع بالفرد و المجتمع إلى هامش الحضارة و الإنتاج و الاكتفاء بدور المستهلك لمنتجات الآخر إن في الثقافة أو الماديات على النحو الذي يبينه مالك بن نبي عندما أشار إلى أن الحضارة لا تقوم بتكديس منتجات الآخرين بل بإنتاج احتياجاتها في شتى المجالات و إذا كان هناك فائض في الرأسمال المادي و الرمزي من خلال عدد وحجم الفضاءات الإعلامية فإن هناك عجزا قيميا بارزا في هذه الأخيرة ، و هو المتغير الأساس في تفسير هزيمة هذا الفضاء الرمزي أمام تحديات هذه المرحلة التاريخية و تطلعات الأمة في مجال البناء القيمي والعمراني للحضارة[43]

5.شبكات التواصل الاجتماعي والرأسمال الجديد:

لقد ظهرت معالم التحولات المجتمعية الافتراضية الرمزية التي فرضتها التكنولوجيات الحديثة (شبكة الانترنت خاصة)، والتي تعددت فضاءاتها الرمزية في مختلف المواقع والمساحات الاجتماعية، والتي أصبحت فضاءا نشطا لنشاطات الرأسمال الاجتماعي الذي تحدده القيمة في سيرورته التفاعلية والتقاربية بين مختلف الفاعلين في هذا الوسط الافتراضي.

ولعل أهم هذه الفضاءات التي يتجسد فيها المجتمع الافتراضي شبكات التواصل الاجتماعي، و التي تعتمد على الاتصال بين مجموعة من الأفراد لهم نفس الميول والاهتمامات، لذلك تعرف بأنها:"منظومة من الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول والهوايات، أو جمعه مع أصدقائه"[44]

وفيما يتعلق بالتغير في القيم ومدلولاتها لدى الشباب الجامعي، فقد تبين في الدراسة التي أجراها (خليفة) بعنوان:"التغير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي مظاهره وأسبابه"، أن

هناك كثيرا من القيم والاتجاهات السلبية التي انتشرت بين الشباب الجامعي من أهمها: الاختلاط الجنسي، التدخين، والاهتمام الزائد بالموضة . . . وهي تكشف بذلك عن خلل واضح في منظومة القيم، حيث حدث نوع من التخلي عن العديد من القيم الايجابية وتبني بعض القيم السلبية[45].

لذلك يمكن أن تسهم القيم في التحكم في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي سواء بالإقبال على استخدام هذه الشبكات أو رفض استخدامها، فالقيم من هذا المنطلق يمكن أن تسهم في وقاية الفرد من مخاطر الاتصال والاستفادة من منجزات التقنية الحديثة في تقليل نفقات التواصل مع الآخرين والاطمئنان عليهم، وكذلك يترتب على تدني مستويات القيم ارتكاب سلوكيات سلبية بسبب غياب النسق القيمي المتوازن الذي يعمل كرقيب ذاتي على الاتجاهات والسلوكيات ما يسهم في مخاطر متنوعة نتيجة التواصل السلبي الذي يتيح الفرص لتحييد القيمة.

ولقد أشارت دراسة (عبد السلام) إلى وجود تأثير سلبي وايجابي لشبكة الانترنت التي تعد تويتر أهم أدواتها، حيث ذكر أن الاتصال عبر الانترنت يعمل على توسيع شبكة علاقات الفرد الاجتماعية مع الآخرين على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، بصرف النظر عن خلفياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية و... ويتيح للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين بحرية كبيرة ودون قيود، ويلاحظ من خلال مشاهدة الأنماط السلوكية الاجتماعية على أرض الواقع أن هناك زيادة مستمرة وإقبالا مرتفعا لأعداد الناس، ومن مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي الى التأثير على سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وطرق التفكير في التعامل مع متغيرات الحياة، الذي من شأنه تعزيز القيم الفردية بدلا من القيم الاجتماعية وقيم العمل الجماعي المشترك الذي يمثل عنصرا مهما في ثقافة المجتمع[46].

ويعتبر الحديث عن موضوع القيم في شبكات التواصل الاجتماعي أمرا محفوفا بالمخاطر، فليس من السهل رصد تحديات القيم في هذا المجال. وفي الغالب سيعترض الكثيرون على هذا الطرح وهذا راجع إلى أنهم حينما يصوغون اعتراضهم هذا ذهنيا، فإنهم يستحضرون بلا شك المحاذير الأخلاقية المرتبطة أساسا بمحتويات شبكات التواصل الاجتماعي، فهل تنحصر تحديات القيم في شبكات التواصل الاجتماعي فقط في المحتويات المنافية للأخلاق؟

أم أن الأمر أعقد مما نتصور؟. في واقع الأمر، يعد التفكير في مسالة تحديات القيم المرتبطة بشبكات التواصل الاجتماعي تحديا في حد ذاته، يتجاوز المقولات الجاهزة والسائدة في أوساط العموم، والتي تتأطر بين محددين اثنين ، يتمثل الأول في الإعجاب الشديد بالإعلام الاجتماعي والآفاق الواعدة التي تبشر بها تكنولوجياته الدائمة التجدد والتطور، ويتمثل المحدد الثاني في التحذير من المحتويات السلبية التي يروجها الإعلام الاجتماعي والتي لا يمكن التحكم بها وإخضاعها للرقابة[47].

هذا بالإضافة إلى المقولات الجاهزة أيضا والرائجة بخصوص موضوع القيم ذاته، بحيث أصبح الجميع يتحدث عن أزمة القيم ويحذر منها، وهو ما يتعارض نسبيا مع هذه الطفرة التي تعرفها القيم في العالم المعاصر: كل هذا الاهتمام الدولي بموضوع القيم، بالإضافة إلى الغنى الكبير في مجال القيم، إثر الانفتاح على حضارات وثقافات متعددة بفضل تكنولوجيا الاتصال ...فهل نعيش بالفعل أزمة قيم؟ . سؤال يجيب عنه الأمين العام السابق لليونسكو (كويشيرو ماتسورا) بالنفي، فيقول:"إن هناك قيما في الوقت الحاضر أكثر مما يتوجب. إلا أن الأزمة التي نجتازها تدل على أننا قد أضعنا بوصلتنا الأخلاقية، ولم نعد نتمكن من تحديد الاتجاه الصحيح. لا توجد عندنا أزمة قيم – وعندنا منها الكثير- بقدر ما توجد أزمة في تحديد معنى القيم، وفي الاستعداد والأهلية لإدارة شؤوننا. فالمسالة الملحة تتلخص إذا في معرفة كيفية توجهنا بين القيم"[48].

وهذا هو الإشكال الحقيقي يرتبط بالقدرة على امتلاك تصور واضح نتعامل من خلاله مع موضوع القيم، وهذا التصور ينبني على تحصيل قدرتين: الأولى بامتلاك بوصلة أخلاقية، نستطيع من خلالها تلمس طريقنا وسط الكم الهائل من القيم التي تروج دوليا، ووتمثل الثانية في القدرة على الاستقلالية الفكرية والمنهجية في التعاطي مع موضوع القيم، وهو ما سينعكس حتما على أصالة تلك البوصلة الأخلاقية التي تعكس الخصوصيات الثقافية لمجتمعنا وحاجياته القيمية الفعلية.

6.شبكات التواصل الاجتماعي والشباب:

إن الربط العلائقي بين الشريحة الشبانية وهذا الوسط الافتراضي يرجع إلى النسبة الكبيرة التي يظهر بها الفاعلون الشباب في هذا الوسط، حيث يعتبر موضوع البحث في العلاقة بين هذه الفضاءات والشباب من المواضيع الأكثر تناولا في جل بلدان العالم لكون الشباب يمثل الشريحة الاجتماعية الأكثر استهلاكا لهذه الفضاءات.

فالشباب اليوم يوصف بجيل الابهام* ، أو بجيل الترحال**، وتوفر مختلف الوسائط الجديدة بصفة عامة فرصا للاتصال التي يدمجها الشباب في حياته اليومية للحفاظ على الروابط الاجتماعية والعلاقات وتشكيلها وتعزيزها، ومع ذلك فإن ازدياد شعبية وسائط الاتصال لم تعوض أشكالا أخرى من الاتصال، لأن الشباب يستخدم أكثر من وسيلة في نفس الوقت(50).

ولقد عالج الباحثون العلاقة بين الشباب والفضاءات الافتراضية من منظورات مختلفة وفي سياقات ثقافية متباينة مما سمح بإعادة النظر في العديد من المفاهيم والتصنيفات، والوصول إلى استنتاج تدعمه الكثير من المعطيات الميدانية ومفاده أن هذه الفضاءات تُشكل الشباب وبدوره يُشكل الشباب هذه الفضاءات. إذ يلاحظ أن الشباب في جميع بلدان العالم يتميز بألفة أكثر بالأنترنت والهاتف المحمول و...، وهو القوة الأولى المتبنية لمختلف التكنولوجيات الجديدة(51) ، والتي تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي أحد نتائجها.

فالشباب يُظهر رغبة ملحة في التعبير الحر عن نفسه، وتكمن فيه استعدادات التمرد عن الثقافة والتقاليد السائدة، وبالتالي يتبع الشباب استراتيجيات استخدام خاصة به لتبني الفضاءات الافتراضية وتكييفها من أجل الإبداع الثقافي والاتصال الاجتماعي(52).

وقد ترتب على انتشار شبكات التواصل الاجتماعي تزايدا مطردا في استخدامها حتى وصل عدد مستخدمي شبكة التويتر في العالم العربي نحو 6.5 ملايين مستخدم، بينما زاد عدد مستخدمي الفايسبوك عن 800 مليون مستخدم في العالم، وتجدر الإشارة أن هذه

* - بالنظر لعلاقته بالهاتف المحمول، واستخدام أصبع الابهام أساسا في صياغة الرسائل.

** - للتنقل من وسط لآخر.

الإحصائيات لعام 2012 ولنا أن نتخيل الزيادة التي وصلنا إليها الآن(53) . وفي تقرير أصدرته (وحدة مختبر المستهلك) في شركة (إريكسون) لسنة 2015، تنامى استعمال الانترنت في الجزائر، إلى " تزايد استخدامه داخل أوساط الشباب الذين أصبحت عاداتهم الاستهلاكية مماثلة لعادات نظرائهم في أوربا وأمريكا" وأفاد التقرير أن ارتفاع استخدام الانترنت يقف وراءه الشباب، ممن تتراوح أعمارهم بين 15و24 سنة، إذ تزداد عادات استخدامهم الأسبوعي لخدمات الانترنت والتطبيقات الذكية، وقال التقرير أن الجزائر على غرار كل من المغرب وتونس، أصبحت تشهد تحولات عميقة على مستوى توجهات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بفضل الشباب الذين ترتفع وسطهم نسبة الولوج إلى الانترنت إلى 70 في المائة. وسجل التقرير ان 97 في المائة من أصحاب الهواتف الذكية في المغرب العربي والجزائر تحديدا، يستخدمون تطبيقات الهواتف النقالة، من أجل ولوج الشبكات الاجتماعية بالدرجة الأولى[54].

7.القيم في الرأس مال الاجتماعي لدى الشباب المستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي :

إن الشباب الجزائري قد تفاعل مع هذه الفضاءات الافتراضية كغيره من الشباب الآخر، وحاول الاستفادة من خصائص هذه الشبكات الاجتماعية الافتراضية ، مطوعا هذا التشبيك العلائقي تلبية لحاجاته ورغباته المتعددة والمتباينة، وربما النسب الإحصائية أعلاه لاتدلل عن كيفية الاستخدام بقدر ما تدلل على نسبة الاستخدام ولعل الأمر الذي يهمنا في مثل هذه القضايا هو الكيفية التي يرتبط بها هذا الفاعل الشاب بهذا الوسط الافتراضي ومعرفة الرأس مال الاجتماعي الذي يكونه من خلال دمج ذاته التفاعلية في محور المرسل والمتلقي.

إن الرأسمال الاجتماعي الذي يسعى الشباب إلى تكوينه افتراضيا ليصبح في كثير من الأحيان واقعيا ملموسا لا يخلو من الجانب القيمي الذي يؤطر العملية الاتصالية الهادفة، خاصة وأن هذا التشبيك قد فتح آفاقا لفتح المعولم وتقليص المحلي وهي أحد أبرز خصائص المجتمعات الحداثية التي تعتبر رهان القيم أهم الرهانات التي تسعى لخوض غمارها لتحقيق معادلة الحفاظ على الذات مع التواصل مع الآخر، بالرغم من أن هذه

الفكرة الأخيرة تحتاج للعديد من الآليات الفعلية لتحقيقها افتراضيا ومن ثم واقعيا. وليس هذا فحسب، بل إن هذه الشبكات الاجتماعية قد أوجدت قيما خاصة بها اندمج فيها الشباب فأصبحت أسلوبا للاستخدام وطريقة للتواصل، الأمر الذي زاد من أهمية الرهان القيمي في الرأسمال الاجتماعي فقيم الوسيلة في حد ذاتها والقيم التي تنتجها الوسيلة، على الرغم من تماهي الاثنتين مع بعضهما البعض الأمر الذي يجعلنا في كثير من الأحيان للنظر إلى القيم كإنتاج أخير وليس كبداية.

إن الشباب الجزائري كغيره من الشباب، تحكمه مجموعة القيم الثقافية التي من شانها أن تؤطر علاقاته التواصلية حفاظا على ثقافته ومقومات تواجدها، وأمام هذا الفتح التواصلي وتعدد الآراء بين مؤيد ومعارض وموجه للتوسط في المعالجة، نجد أنفسنا أمام رهانات معرفية فرضتها التطورات الحاصلة، خاصة أمام الباحثين والمختصين لتحليل الظاهرة أكثر.

هوامش:

(1)رحومة علي، علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الانترنت، عالم المعرفة، الكويت،2008، ص 347.

(2) نوريس بيبا، الفارق الرقمي : الميثاق المدني، نقر المعلومات والانترنت الولي، تر: هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان، 2006،ص25.

(3)ثريا سنوسي، الشباب والاتصال التفاعلي في تونس، دراسة مقدمة في الملتقى الدولي للشباب والاتصال والميديا، تونس،2010، ص 147.

(4)ناعوم تشومسكي، السيطرة على الإعلام، تر: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، 2003، ص 23.

(5)هناء حافظ بدوي، الاتصال بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2004، ص 30.

(6) ABRAHEM MOLES , le mure de la communication, Actes de xvéme congrés de la ASPLE , VOL 2 , 1975 , p19.

(7)ثريا سنوسي، مرجع سبق ذكره، ص 151.

(8)حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، ط 1 ، كنوز المعرفة، الأردن، 2006، ص 134.

(9) [1]-RHEINGOLD , H , THE VIRTUAL COMMUNITY : homesteading on the electronic fronteir , reading , M addison , wesley , 2003 , p 58.

(10)علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، العدد:256، 2001، ص 83.

(11)زايد أحمد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص 23.

(12) - حمادة بسيوني، حرية الاعلام الالكتروني الدولي وسيادة الدولة مع إشارة خاصة إلى الوضع في الدول النامية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، جامعة القاهرة، 2001، ص 26.

(13) HAJI ,S , Building successful online communities , In hart greenfiled , johnston , EDS , nonprofit internet strategies : best practices , 2005 , p 91.

(14)لمي ساري، مرجع سبق ذكره، ص 140.

(15) زكي وليد، المشاركة عبر المجتمع الافتراضي، مجلة الديمقراطية، العدد 20 ، القاهرة، أكتوبر 2010، ص53.

(16) المرجع نفسه، ص 54.

(17))المرجع نفسه، ص 55-56.

(18)حجازي إسلام، الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسي : ظاهرة الفيس بوك في مصر أنموذجا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2009، ص 73.

(19) المرجع نفسه، ص 74.

(20)أبو زاهر نادية، رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني، الحوار المتمدن، العدد 2242، محور المجتمع المدني، 2008.

(21)انجلز ديفيد وهيوسون جون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص27.

(22)زكي وليد، مرجع سبق ذكره، ص57.

(23) المرجع نفسه، ص 58.

(24) سناتي على شرح النظرية في المدخل النظري للدراسة.

(25) SWARTIZ.D , culture and power : the sociology of peire bourdieu , rhieago , 1997 , p16.

(26)انجلز، ديفيد هيوسون جو، مرجع سبق ذكره، ص29.

(27).SWARTIZ.D , IBID , P17 - [1]

(28)حجازي إسلام، مرجع سبق ذكره، ص77.

(29) زايد أحمد وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص28.

(30) ميس هاني، رأس المال الاجتماعي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2008، ص51.

(31) عبد العظيم حسني، رأس المال الاجتماعي، الحوار المتمدن، العدد:3871، 2012.

(32) المرجع نفسه.

(33)حلمي ساري، مرجع سبق ذكره، ص149.

(34) عبد العظيم حسني، مرجع سبق ذكره.

(35) Fukuyama,Francis,Social Capital And Civil Society, international monetary fund, october 1 , p 23.

(36) - زكي وليد، مرجع سبق ذكره، ص60.

(37)المرجع نفسه، ص63.

(38)المرجع نفسه، ص65.

(39)حلمي ساري، مرجع سبق ذكره، ص 154.

(40)المرجع نفسه، ص155.

(41) Abderrahmane azzi,development : ethical competence in the information age , Islamic studies , vol 7,no 1,1998.p21.

(42)عبد الرحمان عزي ، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز ، ط01 ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ،2003 ، ص 149.

(43) المرجع نفسه، ص151.

(44)فهد بن علي الطيار، شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة، العدد:79، مجلة الجامعة، المملكة العربية السعودية،2014،ص195.

(45)المرجع نفسه،ص196.

(46) المرجع نفسه،ص197.

(47)هشام المكي، الإعلام الجديد وتحديات القيم، ط01، طوب بريس، الرباط، 2014، ص 115.

(48)المرجع نفسه، ص 116.

(49) السعيد بومعيزة، المعولم والمحلي في الدراسات الاتصالية لدى الشباب الجامعي الجزائري: دراسة ميدانية، دراسة مقدمة في الملتقى الدولي : الشباب والاتصال والميديا، تونس، 2010، ص 209.

(50)الفقرة 11 من اعلان المبادئ للمؤتمر الدولي من أجل مجتمع المعلومات ودور الشباب المنعقد في جينيف، ديسمبر 2010.

(51)السعيد بومعيزة، مرجع سبق ذكره، ص 209.

(52)فهد بن علي الطيار، مرجع سبق ذكره، ص196.

(53)هشام حدوم، 70 بالمائة من الجزائريين مدمنون على الفيسبوك والفايبر ، جريدة البلاد، ، العدد: 31219 ،2015/02/06، ص 19.